ورقة علمية

ديفيد هيرست وتفكيك السردية الغربية

نقد الهيمنة الإعلامية الأمريكية – الإسرائيلية

وحدود الإنصاف المعرفي للعرب

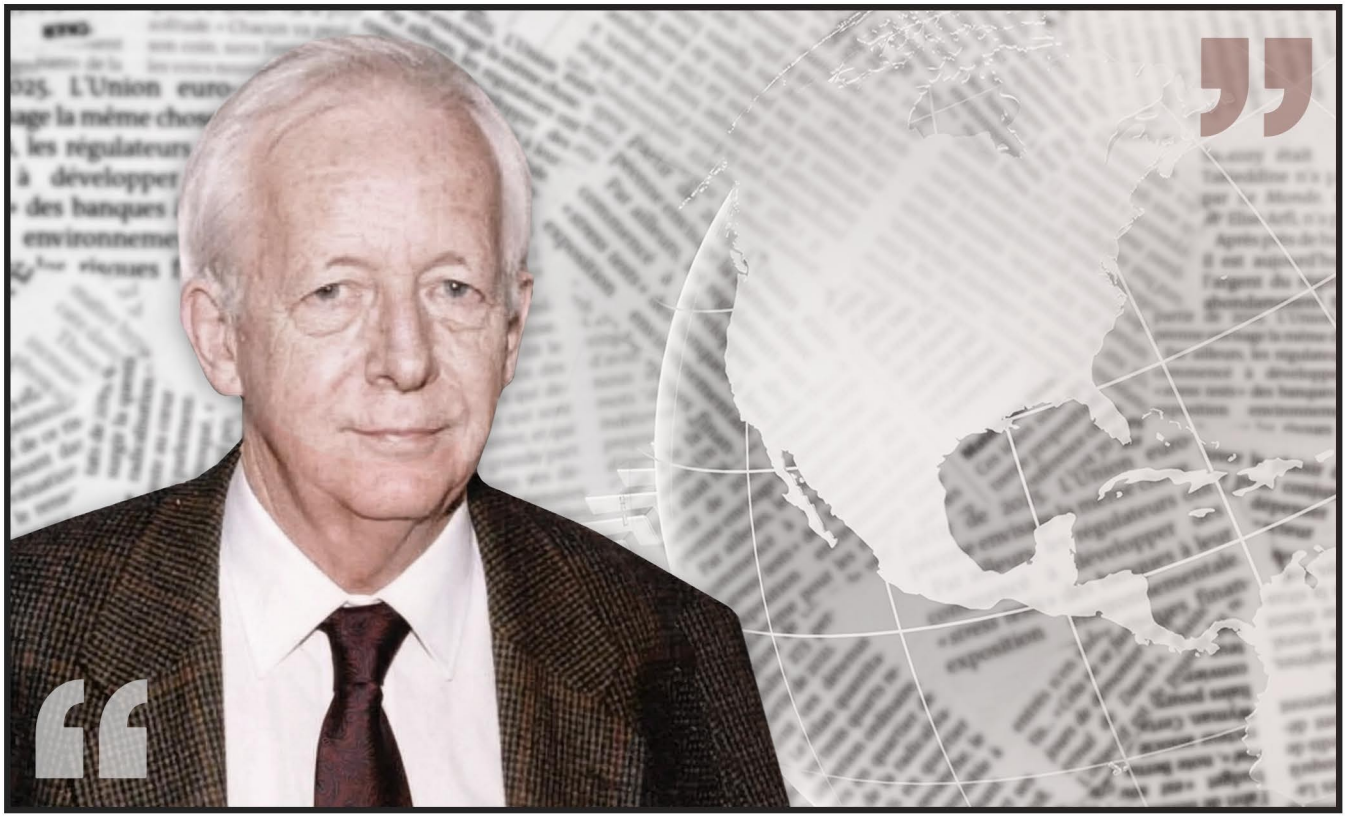

د. إسلام عبد الله أبو خيط

آذار/ مارس 2026

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

جميع إصدارات ومنشورات المركز تعبّر عن رأي كتابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات..... 1

الملخص..... 2

مقدمة..... 3

أولاً: الإطار النظري والمفاهيمي (المنطلقات المعرفيّة)..... 6

ثانياً: "تفكيك "الاستثناء الإسرائيلي" في خطاب ديفيد هيرست:
مقاربة في الاستعمار الاستيطاني والميتافيزيقا السياسية..... 10

ثالثاً: تمثيلات الاستلاب الإمبريالي في السياسة الخارجية الأمريكية: رؤية جينيالوجية
في ضوء تفكيك ديفيد هيرست لآليات احتجاز القرار وشرعنة الاستثناء 13

رابعاً: العرب في مرآة هيرست: بين الإنصاف وإشكالية التمثيل..... 18

نتائج الدراسة: أدوات هيرست في كسر طوق الإجماع 20

توصيات الدراسة: نحو أفق السردية العربية المستقلة..... 20

خاتمة..... 21

الملخص

ديفيد هيرست وتفكيك السردية الغربية
نقد الهيمنة الإعلامية الأمريكية – الإسرائيلية وحدود الإنصاف المعرفي للعرب

تُركّز هذه الدراسة على تجربة الصحفي والمفكر البريطاني الراحل ديفيد هيرست David Hirst (1936–2025) كحالة انشقاقية فريدة ضمن الإعلام الغربي، من خلال تحليل دوره في تفكيك السردية الغربية حول الشرق الأوسط والصراع الفلسطيني – الإسرائيلي. وتستند الدراسة إلى أطروحته الأساسية في كتابه "البندقية وغصن الزيتون: جذور العنف في الشرق الأوسط"، إلى جانب مقالاته وتحليلاته المتأخرة، لتبيان آليات التحليل التفكيكي والالتزام الأخلاقي التي اعتمدها هيرست في مواجهة الانحياز الهيكلي للإعلام الغربي والإمبراطورية الأمريكية.

تحدّد الدراسة إشكالية البحث في الفجوة المعرفية الناتجة عن هيمنة الإعلام الغربي، حيث يُعاد إنتاج المعرفة ضمن أطر تدعم الهيمنة الأمريكية – الإسرائيلية، وتسعى الدراسة إلى الإجابة عن السؤال الرئيسي: كيف استطاع هيرست تفكيك الأطر المعرفية للسردية الغربية، وهل قدّم بديلاً معرفياً مستقلاً؟

وتؤكّد الدراسة أنّ أهمية هيرست لا تكمن في نقل الأخبار فقط، بل في قدرته على إعادة بناء أدوات التحليل الصحفي والسياسي، موفرًا نموذجاً إبستمولوجيّاً للمثقّف النقدي الذي يواجه الضغوط الإعلامية والسياسية للحفاظ على العدالة التاريخية. كما توصي الدراسة بضرورة انتقال العرب من الاعتماد على شهادات الغربيين المنتقدين إلى إنتاج معرفة وسرديات ذاتية تمتلك أدوات التمثيل الإعلامي والسياسي على الصعيد الدولي.

الكلمات المفتاحية:

ديفيد هيرست	الإعلام الغربي	الاستعمار الاستيطاني
السردية المضادة	الحالة الهيرستية	الصراع الفلسطيني الإسرائيلي
نقد السياسة الأمريكية	المثقف المنشق	

ديفيد هيرست وتفكيك السردية الغربية

نقد الهيمنة الإعلامية الأمريكية – الإسرائيلية وحدود الإنصاف المعرفي للعرب

د. إسلام عبد الله أبو خيط[1]

مقدمة:

في صمتٍ مطبق غيَّبته ضوضاء "الآنية الإعلاميّة"، رحل عن عالمنا الصحفي والمفكّر البريطاني ديفيد هيرست، مخلفاً وراءه إرثاً نقدياً زلزل أركان السردية المركزية الغربية لعقود. وبقدر ما كان رحيله خسارةً فادحة لجبهة الحقيقة العابرة للحدود، بقدر ما مثّل تجاهل الإعلام العربي لوفاة هيرست فضيحةً معرفية وأخلاقية بامتياز؛ فبينما أفنى هيرست عمره في تفكيك بنى القوة الإمبريالية وتعرية "الاستثناء الإسرائيلي" بصلابةٍ قلَّ نظيرها، قوبل خبر وفاته ببرودٍ يعكس أزمة الذاكرة وضياع البوصلة في المؤسسات الإعلامية العربية، وهو تجاهلٌ لا يسيء لهيرست بقدر ما يسيء للذات العربية التي باتت عاجزة عن الوفاء لمن نصّب نفسه محامياً تاريخياً عنها في المحافل التي عزَّ فيها النصير.

يُمثّل الخطاب الإعلامي الغربي الموجّه نحو الشرق الأوسط أحد أكثر الحقول المعرفية تعقيداً؛ حيث تتقاطع فيه المصالح الجيوسياسية مع التقاليد الاستشراقية العميقة. وفي ظلّ هيمنة السردية المركزية التي صاغتها المؤسسات الكبرى، ظهرت أصوات انشقاقية حاولت كسر طوق الإجماع الليبرالي، وإعادة قراءة الصراعات من منظور تاريخي مغاير للبروباجندا الرسمية. ويبرز في طليعة هذه الأصوات صوت الصحفي الإنجليزي ديفيد هيرست، الذي لم يكن مجرد ناقلاً عابراً للأخبار عبر مسيرته التي بدأت مع صحيفة الجارديان The Guardian سنة 1964، بل تحوّل إلى مفتاح إبستمولوجي لفهم اضطرابات المنطقة.

تكتسب دراسة فكر هيرست أهمية استثنائية بالنظر إلى خلفيته الفريدة؛ فهو ابن الطبقة الوسطى الإنجليزية الذي صقل أدواته بدراسة اللغة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت، مما مكّنه من اجتراح خطاب يتّسم بالعمق والجرأة، وقدرة فائقة على إسكات صخب الغرف الصحفية بتحليلاته الرزينة.

ويعد مؤلفه "البندقية وغصن الزيتون: جذور العنف في الشرق الأوسط" حجر الزاوية في مشروعه التفكيكي؛ حيث أحدث عاصفة عند نشره أول مرة سنة 1977، ووُصف في الأوساط الأمريكية بأنّه "أكثر الكتب عداءً لإسرائيل باللغة الإنجليزية". ولم تتوقّف جرأته عند نقد السلوك الصهيوني، بل امتدّت لتشمل نقداً مركّباً للقيادات العربية في رؤية نزيهة جمعت بين الثناء على الشجاعة ونقد الممارسات السلطوية.

تأتي هذه الدراسة لتبحث في أبعاد هذا الانشقاق المعرفي لدى هيرست، الذي كان مطّلعاً من الداخل، وكشف زيف السياسات الغربية بلسانٍ إنجليزي، وقلبٍ لم يبع ضميره في أسواق النخاسة السياسية. ونسعى من خلالها إلى تحليل "الحالة الهيرستية" بوصفها أداة كاشفة للأزمة الأخلاقية التي تعيشها الليبرالية الغربية، وإلى تأكيد ضرورة استعادة "السيادة على السردية"،[2] التي تبدأ أولاً بتقدير أولئك الذين صاغوا حروفها بمدادٍ من التضحية والانحياز المطلق للعدالة. ومن خلال فصول هذا البحث، سنبحر في آليات تفكيك الأطر القديمة، متسائلين: إلى أيّ مدى نجحت "اللغة الهيرستية" في تقديم نموذج للمثقّف الذي يتجاوز الحياد البارد، ليجعل خدمة الحقائق التاريخية فوق الحسابات السياسية؟

إشكالية البحث:

تكمن الإشكالية في وجود فجوة تمثيلية عميقة داخل الإعلام الغربي السائد فيما يخص قضايا الشرق الأوسط، حيث يتم إنتاج المعرفة ضمن أطر منحازة تدعم الهيمنة الأمريكية – الإسرائيلية. ويبرز ديفيد هيرست كحالة انشقاقية تحاول ردم هذه الفجوة.

تتمحور مشكلة البحث حول السؤال التالي:

كيف استطاع ديفيد هيرست تفكيك الأطر المعرفية للسردية الغربية؟ وهل نجح في تقديم بديل معرفي مستقل، أم ظلّ نقده حبيس الأدوات المعرفية الغربية التي يسعى لنقدها؟

أسئلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن مجموعة من التساؤلات يمكن حصرها بما يلي:

السؤال الرئيسي:

ما هي الآليات التفكيكية التي استخدمها هيرست لتعرية الانحيازات الغربية في الملفَّيْن الفلسطيني والأمريكي؟

الأسئلة الفرعية:

- كيف أعاد هيرست صياغة مفهوم "الاستعمار الاستيطاني" في مواجهة سردية "الديموقراطية الوحيدة"؟
- إلى أيّ مدى يعدّ نقد هيرست للسياسة الخارجية الأمريكية نقداً بنيوياً للإمبراطورية وليس مجرد نقد إصلاحي لقرارات الإدارة؟
- ما هي حدود الإنصاف في خطاب هيرست تجاه العرب؟ وهل يظهرون في خطابه كفاعلين تاريخيين أم كضحايا للازدواجية الغربية؟

فرضيات البحث:

الفرضية الأولى: يعدّ نقد هيرست ليس مجرد موقف أخلاقي، بل هو إعادة بناء لمنهجية صحفية استقصائية ترفض التوازن الزائف لصالح الحقيقة الموضوعية.

الفرضية الثانية: يُمثّل خطاب هيرست قنطرة معرفية سمحت للقارئ الغربي بالخروج من شرنقة البروباجندا الصهيونية، لكنه يظل يواجه تحدّي الاستقبال داخل المؤسسات الأكاديمية والإعلامية الرسمية.

الفرضية الثالثة: تكمن قيمة هيرست في قدرته على تفكيك الكذب أكثر من قدرته على بناء سردية عربية بديلة، مما يضع عبء بناء السردية على كاهل المثقف العربي نفسه.

المنهجية والأدوات:

سيعتمد البحث على مزيج من المقاربات المنهجية:

1. تحليل الخطاب النقدي: لتحليل مقالات هيرست الرائدة وفحص المفردات، والأطر، والمسكوت عنه في نصوصه.
2. المنهج التفكيكي: لتبيان كيف قام هيرست بخلخلة الثنائيات التقليدية (إرهاب/ دفاع عن النفس) و(شرق مستبد/ غرب ديموقراطي).
3. المنهج المقارن: للمقارنة بين تغطية الصحافة التقليدية (مثل: نيويورك تايمز The New York Times أو هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) (British Broadcasting Corporation (BBC) وبين تحليلات هيرست للأحداث المفصلية ذاتها.

هذا الهيكل المقترح يتّسم بالشمولية والعمق، وينقل البحث من مجرد "قراءة في سيرة صحفي" إلى "دراسة نقدية في سوسيولوجيا الخطاب الإعلامي". وبالربط بين الجانب النظري (نعوم تشومسكي Noam Chomsky وإدوارد سعيد) وبين القضايا الميدانية (الاستيطان، والدور الأمريكي، والربيع العربي) يوجِد توازناً مفيداً للدراسة.

القيمة المضافة للبحث:

تكمن أصالة هذا البحث في كونه لا يدرس هيرست كشخص، بل كظاهرة سوسيولوجية وإعلامية تكشف أزمة الليبرالية الغربية، وتُقدّم نقداً للتبعيّة المعرفيّة العربيّة التي تنتظر دائماً "شهادة براءة" من كاتب غربي لتؤكّد عدالة قضاياها.

أولاً: الإطار النظري والمفاهيمي (المنطلقات المعرفيّة):

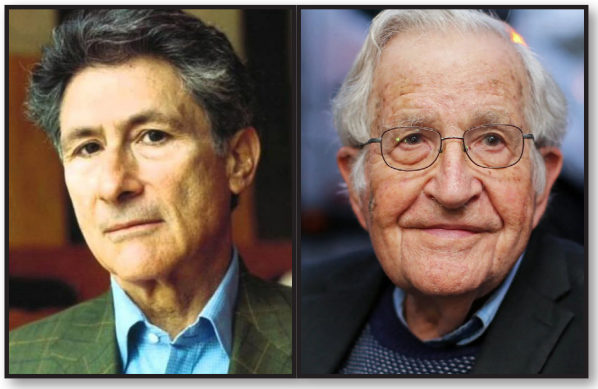

نعوم تشومسكي	إدوارد سعيد

يرتكز هذا الإطار على تفكيك بنية الخطاب الإعلامي الغربي عبر المزاوجة بين نموذج "صناعة الموافقة" لنعوم تشومسكي كآلية للضبط البنيوي، وأطروحة "تمثيل الآخر" لإدوارد سعيد كأداة للهيمنة الثقافية. ومن هذا المنطلق، يتم تقصي ظاهرة "المثقف المنشق" بوصفها اختراقاً نقدياً للمنظومة، مع اتخاذ مسيرة ديفيد هيرست نموذجاً تحليلياً للانتقال من الوظيفة الأداتية داخل المؤسسة إلى الاستقلالية الفكرية المناهضة للهيمنة.

◁1. مفهوم الهيمنة الإعلامية وآليات "صناعة الموافقة": قراءة في السياق النظري:

لا يمكن مقاربة "الانشقاق المعرفي" في خطاب ديفيد هيرست بمعزل عن بنية الإجماع، التي سادت المؤسسات الإعلامية الغربية الكبرى. إنّ خروج هيرست عن الرواية الرسمية لم يكن مجرد اختلاف صحفي في وجهات النظر، بل كان صداماً مع منظومة الهيمنة التي تُحدد سلفاً ما هو قابل للنقاش وما هو خارج نطاق الإدراك.[3] وتتجلّى هذه الهيمنة عبر مستويين نظريين:

أ. الإعلام كجهاز أيديولوجي وضبط حدود الممكن التعبير عنه:

بالاستناد إلى النموذج الدعائي الذي صاغه نعوم تشومسكي وإدوارد هيرمان، يعمل الإعلام الغربي كمرشح بنيوي يضمن بقاء تدفّق المعلومات ضمن سياق يخدم المصالح الجيوسياسية للنخب المهيمنة[4].يمكن رصد اشتغال هذا النموذج وتأثيره في تجربة ديفيد هيرست من خلال مستويين من الضبط:

- **مستوى الضبط البنيوي (آلية المرشحات والضغط):** يخضع الخطاب الإعلامي لمرشحات قاسية تهدف إلى تأديب الأصوات المنشقّة.[5] وفي حالة هيرست، تجسد هذا المرشّح في "الضغط" المباشر عبر الاحتجاجات الدوريّة التي كانت ترفعها السفارة الإسرائيلية في لندن ضدّ تقاريره، متهمة إياه بـ"التحيّز" في محاولة لزحزحة الرواية السائدة.[6]

- **مستوى الضبط المعرفي (الأيديولوجيا وحصر الممكن):** يعمل الإعلام كجهاز أيديولوجي يضع حدوداً صارمة لما يمكن التعبير عنه The Bounds of the Expressible.[7] وقد اخترق هيرست هذه الحدود حين تجاوز التوصيف السطحي للأحداث في كتابه "البندقية وغصن الزيتون"، غائصاً في بنية العنف الصهيوني، الأمر الذي وضعه خارج نطاق المقبول في الليبرالية الغربية التي تحصر الجدل في النتائج وتعزلها عن أسبابها التاريخية.

ب. سياسات التأطير واحتجاز الحقيقة:

تقدّم أطروحة إدوارد سعيد مفتاحاً لتحليل كيفية احتجاز الحقيقة التاريخية داخل أطر أيديولوجية ضيقة، حيث يُوظَّف "التأطير" لحصر الصراع ضمن ثنائيات اختزالية تُغيّب السياق لصالح الحدث العابر.[8] وتتجلّى هذه السياسة في مستويين متكاملين:

- **صناعة الإطار:** يمنح هذا التأطير المتلقي دليلاً إرشادياً يجعل الفعل الفلسطيني دائماً هو "بداية العنف"، بينما يظهر الفعل الإسرائيلي بوصفه "ردّ فعل" حتمي ودفاعي.[9] ويهدف هذا الإطار إلى تجريد الحدث من جذوره وتحويله إلى مجرد "أزمة أمنية" طارئة.

- **تفكيك هيرست للإطار (السياق التاريخي كأداة نقدية):** تكمن القوة الأكاديمية في خطاب ديفيد هيرست في رفضه "لعبة التوازن الزائفة" التي تفرضها الليبرالية الغربية؛ إذ قام بتفكيك الإطار الإعلامي عبر العودة بالصراع إلى جذوره التأسيسية سنة 1881،[10] بدلاً من الارتهان للحظة الراهنة.

ويعدّ اختيار هيرست لهذا التاريخ تحديداً ارتكازاً منهجياً حاسماً؛ كونه يمثل البداية العملية للمسألة الصهيونية كحركة سياسية استيطانية منظمة (عبر موجات "البوجروم" في روسيا القيصرية وما تلاها من الهجرة الأولى). وقد أتاح له ذلك إعادة تعريف الصراع بوصفه عملية "استعمار استيطاني" طويلة الأمد بدأت بإقصاء الفلاح الفلسطيني قبل عقود من قيام "الدولة"، لا مجرد نزاع حدودي نشأ سنة 1948 أو سنة 1967.[11] وهذا الخروج المنهجي هو ما دفع الأوساط المهيمنة إلى وسمه بالانحياز؛ لأنّ الموضوعية في هذا السياق، تعني الامتثال للإطار الذي يُغيّب التاريخ لصالح الرواية الأقوى.

◁2. إشكالية المثقّف المنشق: تموضع ديفيد هيرست ضمن خريطة الفكر الغربي:

تُعد "الحالة الهيرستية" نموذجاً فريداً لدراسة سوسيولوجيا الانشقاق داخل الأنظمة الإعلامية الليبرالية. ففي بيئة تهيمن عليها المهنية الإجرائية التي تُغيب السياق التاريخي لصالح الرواية السائدة، يبرز الانشقاق كفعل معرفي وأخلاقي يعيد تعريف دور الصحفي بصفته مثقفاً عمومياً.

أ. من التبعية المؤسسية إلى الاستقلال الراديكالي:

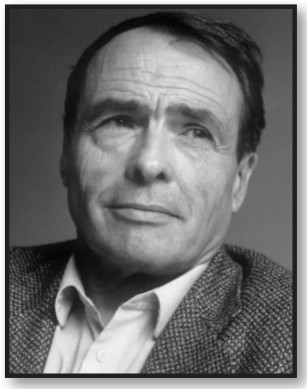

بيير بورديو

عاش ديفيد هيرست تحولاً بنيوياً في علاقته بالمؤسسة الإعلامية الغربية؛ فبينما يرى بيير بورديو Pierre Bourdieu أنّ الحقل الصحفي محكوم بضغوط تجارية وأيديولوجية تفرض قيوداً صارمة على الفاعلين داخلها،[12] استطاع هيرست كسر هذه القيود من خلال الاستقلال الراديكالي عن منظومة الحياد الموهوم. ويظهر هذا التحوّل من خلال مسارَيْن متكاملَيْن في مسيرته:

- ◀ **تفكيك النطاق المسموح (المواجهة المعرفية):** بالاستناد إلى رؤية نعوم تشومسكي، تضع الأنظمة الليبرالية نطاقاً للجدل المسموح به يتيح نقد النتائج مع حظر المساس بالمقدمات.[13] تجلّى انشقاق هيرست في كتابه "البندقية وغصن الزيتون" عبر مهاجمة المقدمات الأخلاقية للصهيونية، متجاوزاً بذلك دور المراسل التابع إلى المثقف النقدي الذي يرفض أن يكون أداة في صناعة الموافقة.

- **صدام الإجماع (المواجهة المؤسسية):** يمثّل اتهام السفارات الإسرائيلية له بـ"التحيز" ترجمة إجرائية لآلية الضغط التي تُمارس لتأديب الأصوات الخارجة عن "طوق الإجماع" الغربي.[14] هذا الصدام لم يكن مجرد خلاف مهني، بل كان إعلاناً عن خروج هيرست النهائي من بنية الهيمنة الإعلامية نحو الفضاء النقدي الحر.

ب. هيرست ورفض خيانة المثقفين:

يمكن مقاربة نزاهة هيرست الفكرية من خلال أطروحة جوليان بندا Julien Benda حول التزام المثقف بالقيم الكونية المطلقة (الحق، العدالة) في مواجهة المصالح المادية – السياسية الضيقة.[15] وتتجلّى هذه المقاربة في بُعدَين أساسيين:

- **المثقّف مقابل الأيديولوجي:** يرى بندا أنّ المثقف الحقيقي هو الذي يرفض الرضوخ لروح العصر Zeitgeist إذا كانت تقوم على الزيف. ويمثل هيرست، في هذا السياق، رفض السردية القومية الغربية التي تعدّ "إسرائيل" امتداداً للحضارة الغربية في الشرق، واختار بدلاً من ذلك الانحياز للحقيقة التاريخية؛ مما حوله إلى منفي معرفي داخل وسط صحفي يقدس الاستقرار السياسي على حساب العدالة التاريخية.[16]

- **سوسيولوجيا إسكات الغرفة:** إن شهادات زملائه حول قدرته الفريدة على إسكات غرفة مليئة بالصحفيين الصاخبين بمجرد حديثه، تشير إلى امتلاكه لما يصفه ماكس فيبر Max Weber بالكاريزما الفكرية Intellectual Charisma.[17] وهي كاريزما لم تُشتق من المنصب المؤسسي، بل استُمدت من التخصص الميداني الدقيق والارتباط العضوي بالأرض وإتقان اللغة العربية، مما منحه سلطة معرفية تفوق ضجيج الأيديولوجيا العابر.[18]

ج. "المثقف المشتبك" وبناء السرديات البديلة:

في الحقبة المتأخرة من مسيرته، جسّد ديفيد هيرست نموذج "المثقف المشتبك" الذي لا يكتفي بالرصد السلبي، بل يسعى لتمكين الحقيقة من خلال منصات بديلة تكسر الاحتكار المعرفي للمؤسسات التقليدية. ويظهر هذا الاشتباك المعرفي في تحول هيرست نحو بناء ودعم السرديات المضادة:

- **تجاوز الهيمنة وبناء السردية المضادة:** إنّ ثناء هيرست على القنوات الإقليمية (كالجزيرة) ووصفها بالصدق، لم يكن مجرد موقف مهني، بل يعكس إيمانه بضرورة وجود سردية تتحدى المركزية الغربية وتكسر طوق الهيمنة.[19]هذا المسار يؤكد أن "الانشقاق" لديه لم يكن فعلاً سلبياً يتمثل في مجرد الخروج من المؤسسة، بل كان فعلاً إيجابياً تمثل في بناء معرفة بديلة تضع الضحية في مركز الحدث وليس على هامشه. وبذلك، حقق هيرست رؤية إدوارد سعيد للمثقف بصفته "من ينطق بالحق في وجه القوة"، حيث يتحول المثقف من ناقل للأخبار إلى مدافع عن الحقيقة التاريخية في وجه التزييف المؤسسي.[20]

ثانياً: "تفكيك "الاستثناء الإسرائيلي" في خطاب ديفيد هيرست: مقاربة في الاستعمار الاستيطاني والميتافيزيقا السياسية:

يتّجه التحليل في هذا السياق نحو تقصي المقاربة التفكيكية التي اعتمدها الصحفي والمؤرخ ديفيد هيرست في نقد الخطاب الصهيوني المهيمن، وتحديداً ما يُعرف بـ"الاستثناء الإسرائيلي". ويرتكز هذا الطرح بصورة جوهرية على عمله التأسيسي "البندقية وغصن الزيتون: جذور العنف في الشرق الأوسط"، وكتاباته المتأخرة التي أخضعت "عملية السلام" ومنطق "التطبيع" لمبضع النقد البنيوي.

ولا تقتصر أطروحة هيرست على رصد المتغيرات السياسية العابرة، بل تمتد لتفكيك "الميتافيزيقا السياسية "التي تمنح "إسرائيل" حصانة أخلاقية استثنائية في الوجدان الغربي. ومن خلال توظيف أدوات "التأريخ من أسفل"، يكشف هيرست عن الطبيعة البنيوية والتأسيسية للعنف الصهيوني، واضعاً الصراع ضمن إطاره التفسيري الأدق وهو "الاستعمار الاستيطاني" بوصفه نظاماً يهدف إلى إزاحة السكان الأصليين، لا مجرد صراع وجودي على "البقاء".[21]كما يتبنى هذا المسار نقداً حاداً لوهم صناعة "السلام"، معتبراً اتفاقيات أوسلو Oslo Accords ومسارات التطبيع اللاحقة أدوات لترسيخ الهيمنة الإقليمية، وتثبيت وضع راهن يضمن استدامة التفوق الإسرائيلي.

◁من "الصراع" إلى "الاستعمار الاستيطاني":

يُعدّ عمل ديفيد هيرست بمثابة قطيعة معرفية مع السردية الغربية السائدة حول الصراع العربي – الإسرائيلي. فبدلاً من تبني إطار "النزاع" الذي يفترض تكافؤاً نسبياً بين طرفين متنازعين على أرض، اعتمد هيرست مقاربة تتسق مع مفهوم الاستعمار الاستيطاني.[22] هذا المفهوم، الذي أصبح مركزياً في الدراسات الأكاديمية النقدية، يرى أن الصهيونية ليست مجرد حركة قومية تسعى لتقرير المصير، بل هي مشروع استيطاني هدفه الأساسي هو إحلال السكان الأصليين، وليس مجرد استغلالهم. [23]

1. تفكيك الأساطير التأسيسية: العنف كبنية:

في كتابه "البندقية وغصن الزيتون"، يمارس هيرست ما يمكن تسميته بالتأريخ التفكيكي؛ إذ يعود إلى سنة 1881 ليكشف أنّ العنف لم يكن عارضا أو رد فعل على المقاومة العربية، بل كان بنيوياً وتأسيسياً للمشروع الصهيوني.[24] لقد أدرك الآباء المؤسسون للصهيونية، كما يوثّق هيرست، أن تحقيق "أرض بلا شعب" يتطلب بالضرورة إزاحة الشعب الموجود.

جدول رقم 1: تفكيك هيرست الواقع الاستيطاني

الأسطورة الصهيونية	تفكيك هيرست (الواقع الاستيطاني)
"الحق التاريخي"	العنف التأسيسي: الصهيونية أدركت منذ البداية ضرورة الإزاحة.
"أرض بلا شعب"	التأريخ من أسفل: إثبات وجود مجتمع فلسطيني متجذر وحيوي قبل 1948.
"واحة الديموقراطية"	الواقع الكولونيالي: الديموقراطية محصورة لليهود، بينما يُمارس نظام الفصل العنصري Apartheid على الفلسطينيين.

تكمن القوة التحليلية في خطاب ديفيد هيرست في اعتماده الصارم على تقاطع الوثائق التاريخية مع الشهادات الميدانية الحية، وهو ما يمثل تطبيقاً إجرائياً لمنهج "التأريخ من أسفل". فبدلاً من الارتهان للروايات الرسمية الصادرة عن مراكز القوة المهيمنة، يعمد هيرست إلى تسليط الضوء على أصوات الضحايا والمهمشين بوصفهم فاعلين تاريخيين، مما يسمح بتقويض طوق الإجماع الغربي وكشف المسكوت عنه في السردية الاستعمارية.[25] هذا الاقتراب الميداني، الذي صقله هيرست خلال خمسة عقود من التغطية في مناطق الصراع، منح كتاباته سلطة معرفية تتجاوز العمل الصحفي التقليدي إلى آفاق الأنثروبولوجيا السياسية والتأريخ النقدي.[26]

2. الميتافيزيقا السياسية و"الاستثناء الإسرائيلي":

يُشير هيرست إلى أنّ "إسرائيل" تتمتع بـ"حصانة أخلاقية" في الوجدان الغربي، وهي حصانة مستمدة من "الميتافيزيقا السياسية" التي تُعلي من شأن السردية الصهيونية بوصفها ملاذاً أخيراً من المحرقة، مما يضعها فوق مستويات النقد أو المساءلة القانونية.[27] وينعكس هذا الاستثناء في خطاب هيرست من خلال تفكيك ثلاثة مرتكزات أساسية للهيمنة:

- **تفكيك الحياد الأمريكي:** يعمد هيرست إلى نقض مقولة الولايات المتحدة كوسيط نزيه، واصفاً إياها بالشريك العضوي الذي يوظف الخطاب الديبلوماسي ومفردات "السلام" كأداة أيديولوجية لشرعنة الاستيطان وتوفير غطاء زمني لترسيخ حقائق ديموجرافية تقوّض فرص أي تسوية مستقبلية.[28]
- **نقد وهم صناعة "السلام" (أوسلو كاستعمار بالوكالة):** يطرح هيرست قراءة بنيوية لاتفاقيات أوسلو (1993) باعتبارها "استسلاماً هيكلياً" وليست فرصة ضائعة؛ إذ أعادت هيكلة الاحتلال ليصبح "استعماراً بالوكالة. وفي هذا النموذج، تتحول السلطة الفلسطينية إلى أداة أمنية لحماية المحتل مقابل امتيازات شكلية، مما يثبت الوضع الراهن ويحصر الفلسطينيين في كانتونات جغرافية ممزقة.[29]
- **التطبيع كإعادة صياغة للهيمنة الإقليمية:** في قراءته للمسارات المعاصرة (كالاتفاقيات الإبراهيمية Abraham Accords)، يرى هيرست أن التطبيع ليس فعلاً ديبلوماسياً، بل هو مشروع يهدف لإعادة صياغة المنطقة لتكون "إسرائيل" مركزها القيادي، مع محاولة تهميش القضية الفلسطينية التي يصفها بجمرة الغضب غير القابلة للإخماد.[30]

جدول رقم 2: مقارنة بين الصليبيين والصهاينة

التشبيه التاريخي	وجه المقارنة في تحليل هيرست	الدلالة الأكاديمية
الممالك الصليبية	الخطيئة الأصلية: نشأة كِلتا الدولتين على مذبحة وإزاحة للسكان الأصليين (1099 مقابل 1948).[31]	الاستدامة والهشاشة: الاعتماد على الدعم الخارجي الغربي كعامل بقاء، مما يجعل المصير مرتبطاً بزوال هذا الدعم.[32]
التطرف الهليني	الزهو والجنون: حالة الغطرسة والاعتقاد بالتفوق المطلق التي سبقت الانهيار الكارثي.[33]	النقد النفسي – السياسي: تحذير من أن الاستثناء يؤدي إلى الجنون السياسي الذي يتجاهل الواقع الموضوعي.[34]

يُشير هيرست إلى أنّ هذا المسار، الذي يتسم بـ"الزهو الصهيوني" المعاصر، يمثل حالة من التطرف الهليني القديم الذي أدى في النهاية إلى الانفجار الكارثي، مما يضع مصير المشروع الإسرائيلي في سياق تاريخي أوسع يتجاوز حدود الصراع المباشر.[35]

قدّم ديفيد هيرست، من خلال المقاربة التفكيكية والتأريخ من أسفل، إسهاماً جوهرياً في الدراسات النقدية حول الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي. لقد نجح في تحويل النقاش من إطار "النزاع" إلى إطار الاستعمار الاستيطاني، وفضح الميتافيزيقا السياسية التي تحمي "الاستثناء الإسرائيلي". إنّ نقده لعملية "السلام" والتطبيع يظل وثيق الصلة، حيث يرى فيهما أدوات لترسيخ الهيمنة الإقليمية. تشبيهاته التاريخية بالممالك الصليبية والتطرّف الهليني تقدم تحليلاً عميقاً لهشاشة المشروع الصهيوني على المدى الطويل، مما يؤكد على أهمية قراءة أعماله كمرجع أساسي لفهم الجذور البنيوية للعنف في الشرق الأوسط.

ثالثاً: تمثيلات الاستلاب الإمبريالي في السياسة الخارجية الأمريكية: رؤية جينيالوجية في ضوء تفكيك ديفيد هيرست لآليات احتجاز القرار وشرعنة الاستثناء:

مقدمة: "الحالة الهيرستية" وبرادايم الهيمنة:[36]

تُعد السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط إحدى أكثر الظواهر إثارة للجدل في حقل العلاقات الدولية المعاصرة، ليس لمجرد انحيازها الصارخ، بل لما تظهره من صلابة هيكلية عصية على التحولات الجيوسياسية الكبرى. يقدّم هذا التحليل قراءة جينيالوجية مستلهمة من الأطروحات النقدية للباحث ديفيد هيرست، تفترض أن واشنطن قد تجاوزت دور الحليف الاستراتيجي لـ "إسرائيل" لتتحوّل إلى مُمكّن بنيوي يعمل ضمن مصفوفة إدراكية مختطفة. تُنتج هذه المصفوفة ما يمكن اصطلاحه بـ"الحالة الهيرستية"؛ وهي حالة من التبعية الإدراكية التي تُعطل العقل الاستراتيجي الإمبراطوري لصالح مشروع استعماري استيطاني، مما يؤدي إلى ارتهان الإرادة السيادية الأمريكية لمتطلبات الحفاظ على هذا المشروع.

◁1. إبستمولوجيا "الاستثناء": نقد النظام القائم على القواعد:

يكشف التحليل الهيرستي أنّ الخطاب الرسمي لواشنطن حول النظام الدولي القائم على القواعد لا يمثل إطاراً قانونياً كونياً بقدر ما هو "تقنية سيادية" تُوظف انتقائياً لشرعنة الاستثناء وتكريس الهيمنة.[37]

أ. القانون كأداة وظيفيّة:

في السياق الفلسطيني، يتحوّل القانون الدولي من معيار للعدالة إلى أداة لتعطيل المساءلة. توظف الولايات المتحدة ما يُعرف بـ"الاستثناء السيادي" بمفهومه الشميتي؛ حيث يرى كارل شميت Carl Schmitt أنّ "السيادة هي القدرة على اتخاذ القرار في حالة الاستثناء".[38] وتتجلّى القوة الإمبريالية هنا في القدرة الفائقة على تحديد "من يخضع للقانون" و"من يتمتع بحصانة مطلقة منه". يبرز حقّ النقض (الفيتو Veto) الأمريكي في مجلس الأمن Security Council كـ"ثقب أسود قانوني" يبتلع الإرادة الدولية، مما يوجِد "منطقة فراغ قانوني" محمية إمبراطورياً تمنح التوسع الاستيطاني حصانة زمنية وأيديولوجية تتجاوز منطق المحاسبة الدولية.[39]

ب. أنطولوجيا الصمت وازدواجية المعايير:

تتبدّى هذه الازدواجية في المقارنة الإبستمولوجية بين خطاب واشنطن تجاه الأزمة الأوكرانية، حيث يُتمسَّك بقدسية سيادة القانون، وتجاه غزة، حيث يُفعَّل حقّ الاستثناء المطلق. يمارس العقل السياسي الأمريكي ما يمكن وصفه بـ"أنطولوجيا الصمت"، أي التعليق العمدي والممنهج للغة القانونية عند مخاطبة الانتهاكات.[40] وهذا السلوك يحوّل النظام الدولي من فضاء للمبادئ الكونية إلى مرآة تعكس "تراتبيات القوة "الإمبريالية، مما يُفرغ المؤسسات الدولية من محتواها الأخلاقي ويحوّلها إلى أدوات إجرائية لتثبيت الأمر الواقع.[41]

◁2. سوسيولوجيا الاحتجاز: اللوبي كجهاز دولة أيديولوجي:

يُنفّذ هيرست إلى "الصندوق الأسود" لصنع القرار الأمريكي، مبيناً أنّ قوى الضغط، وعلى رأسها لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (آيباك AIPAC)، لا تعمل كجماعة ضغط خارجية تقليدية، بل كـ"جهاز دولة أيديولوجي" وفق منظور لويس ألتوسير[42] Louis Althusser.[43]

أ. هندسة الإجماع والرقابة الذاتية:

تعمل هذه الأجهزة على إعادة إنتاج الأيديولوجيا السائدة داخل بنية الدولة، مما يسهم في توجيه الخطاب السياسي والإعلامي بما يخدم مصالح الحليف الاستراتيجي. وقد أنتجت "الحالة الهيرستية" ثقافة من "الخوف المؤسسي " داخل أروقة وزارة الخارجية والكونجرس Congress، حيث يتحّول الدعم المطلق إلى "عقيدة سياسية متحجرة".[44] ويُعدّ أي خروج عن هذا الإجماع مخاطرة مهنية قد تنهي المستقبل السياسي للمسؤول، مما أدى إلى احتجاز الإرادة السيادية وتأميمها لصالح أجندة طرف ثالث، وهو ما يصفه هيرست بـ"الارتهان الذي لا فكاك منه".[45]

ب. تحالف التاريخ والمقدّس:

تستند هذه التبعية إلى قاعدة صلبة من "المسيحية الصهيونية" التي تمنح المشروع الاستيطاني شرعية ميتافيزيقية تتجاوز الحسابات البراجماتية للدول.[46] وبدمج هذا البعد الديني مع الاستغلال الوظيفي لـ"عقدة الذنب" التاريخية تجاه المحرقة، يُبنى درع أيديولوجي يمنع المساءلة، ويحوّل الدعم السياسي إلى "واجب أخلاقي" متعالٍ على النقاش الاستراتيجي العقلاني، مما يُعطّل قدرة الإمبراطورية على نقد أفعال التابع أو كبح جماحه [47].

◁3. الإمبراطورية في مواجهة ذاتها: تداعيات الاستلاب الإمبريالي:

لا يكتفي نقد ديفيد هيرست برصد الانحياز السياسي التقليدي، بل ينفذ إلى لحظة المجابهة الوجودية التي تعيشها الإمبراطورية حين تصطدم أيديولوجيتها المدعاة بواقع ممارساتها؛ وهي اللحظة التي تُعرّفها هذه الدراسة بـ"الانتحار الاستراتيجي"؛ تعبيراً عن مآل التضحية بأدوات القوة الناعمة والشرعية الدولية في سبيل حماية الاستثناء الاستيطاني.

إنّ الترابط بين تآكل القوة الناعمة (المحور الأول) وبين السيادة المستأجرة (المحور الثاني) يُمثّل علاقة طردية حتمية؛ فبقدر ما تفقد واشنطن استقلالها الاستراتيجي لصالح التابع، تضطر للتضحية بقيمها الكونية لتبرير أفعاله، مما يؤدي بالضرورة إلى انهيار هيمنتها الأخلاقية عالمياً.

أ. تآكل القوة الناعمة وشرعية القيادة:

يؤكّد التحليل الهيرستي أننا أمام حالة تفكك أخلاقي بنيوي للنظام الدولي الذي تقوده واشنطن. إن فقدان الشرعية الأخلاقية يعني أن الإمبراطورية فقدت قدرتها على ممارسة "الهيمنة" بمعناها الغرامشي،[48] أي القيادة القائمة على الرضا والقبول الطوعي بالقيم، لتتحول إلى مجرد قوة تمارس "السيطرة" عبر الإكراه والترهيب المادي.[49]

- **جغرافيا التحلّل المعرفي**: أدت ازدواجية المعايير إلى إيجاد "قطيعة إدراكية" مع الجنوب العالمي. فبينما تُسوِّق واشنطن قيم حقوق الإنسان في أوكرانيا، فإنّ صمتها في غزة يحوّل هذه القيم إلى "أدوات استعمارية" تُستخدم فقط لتأديب الخصوم، مما يُحوِّل الوجدان السياسي العالمي من الانبهار بالنموذج إلى الوعي بالخديعة.[50]

- **بروز الأقطاب الأخلاقية**: يمثل صعود دور جنوب إفريقيا في محكمة العدل الدولية International Court of Justice (ICJ) تمرداً إبستمولوجياً؛ حيث استردّت دول الجنوب اللغة القانونية الغربية لمحاكمة الاستثناء الإمبريالي. هذا يمثّل نهاية الاحتكار الغربي لتعريف الحقيقة القانونية.[51]

ب. السيادة المستأجرة والتبعية الاستراتيجية:

تَظهر واشنطن في القراءة الهيرستية كقوة عظمى تمارس ما يمكن تسميته بـ"السيادة المستأجرة"؛ وهي حالة فريدة حيث تُرهن موارد الإمبراطورية (الديبلوماسية والعسكرية) لخدمة طموحات إقليمية لقوة أصغر، مما يؤدي إلى قلب أدوار الوكالة.[52]

- **ميكانيكا الاحتجاز**: لم تعد واشنطن راعية للنظام، بل تحوّلت إلى طرف عضوي في الصراع، ما أفقدها الاستقلال الاستراتيجي. وبدلاً من أن تكون "إسرائيل" ذخيرة استراتيجية، يكشف التحليل

أنّها تحوّلت إلى عبء سيادي يفرض خيارات تتناقض مع الأمن القومي الأمريكي، ويورّطها في حروب استنزافية وإدانات دولية.[53]

◁4. التبعيّة الإدراكيّة وتفكّك العقل الإمبراطوري:

تتجلّى الأزمة الوجودية للإمبراطورية في قدرة القوة الإقليميّة على هندسة أولويات القوة العظمى عبر قنوات اللوبي والمصفوفة المعرفية الموجّهة، مما أدى في نهاية المطاف إلى تفكيك "العقل الإمبراطوري المستقل" وتحويله إلى تابع إدراكي.

أ. اللوبي كفلتر معرفي وهندسة الاستلاب:

يعمل اللوبي في القراءة الهيرستية كـ"محرر للمتخيّل الجيوسياسي الأمريكي"؛ حيث يقوم بفلترة المعلومات وتوجيه السرديات لاستبدال الحسابات البراجماتية بعقائد أيديولوجية تُملى من الخارج. في هذه الحالة، يصبح المدرك الأمريكي للأمن القومي مطابقاً تماماً للمطالب الإسرائيلية، وهو ما يجسد حالة "الاستلاب المعرفي" التي تجعل الإمبراطورية ترى مصالحها بعيون تابعها.[54]

ب. تفكّك المنطق البراجماتي:

يتميّز العقل الإمبراطوري تاريخياً بالمرونة والقدرة على المناورة، لكن تحت وطأة التبعية الإدراكية، أصبح القرار الأمريكي صلباً أيديولوجياً وهشّاً استراتيجياً. إنّ التماهي المطلق مع اليمين الاستيطاني أفقد واشنطن مرونتها المعهودة وقدرتها على قراءة التحولات العالمية أو استيعاب صعود قوى منافسة، مما حوّلها من لاعب شطرنج دولي إلى رهينة لمسار جيوسياسي واحد تفرضه إرادة الطرف الثالث.[55]

ج. التكلفة الجيوسياسية للاستلاب: عزلة المركز:

في مرآة "الحالة الهيرستية"، تظهر واشنطن وهي تضحي بمصالحها الكبرى (علاقاتها مع العالم الإسلامي، وصدقيتها القانونية) من أجل الحفاظ على تفوّق قوة إقليمية واحدة. هذا التبادل غير المتكافئ يعكس خللاً بنيوياً في العقل الإمبراطوري الذي بات يُقدم "الأيديولوجيا الملقّنة" على "الواقعية البراجماتية"؛ مما يُعجل بالتحول نحو عالم متعدّد الأقطاب يبحث عن بدائل أخلاقية وقانونية أكثر إنصافاً بعيداً عن المركز الأمريكي المستلب.[56]

رابعاً: العرب في مرآة هيرست: بين الإنصاف وإشكالية التمثيل:

يُقدم ديفيد هيرست، بصفته صحفياً ومؤرخاً منشقاً عن السردية الغربية السائدة، صورة للعالم العربي تتجاوز الأطر الاستشراقية التقليدية. إنّ تحليله لا يقتصر على نقد الاستعمار والاستثناء الإسرائيلي فحسب، بل يمتد ليشمل تفكيكاً لآليات القمع الداخلي، مع إظهار إنصاف معرفي تجاه طموحات التحرّر العربي. ومع ذلك، يثير هذا الإنصاف إشكالية التمثيل المتعلّقة بحدود دور المثقّف الغربي في التعبير عن قضايا الجنوب العالمي.

◁1. جدلية الثورة والثورة المضادة: تفكيك القوى الكابحة للتحرّر:

يؤصّل ديفيد هيرست لمفهوم القطيعة التاريخية في سياق الربيع العربي، معتبراً أنّ الحراك الشعبي سنة 2011 لم يكن مجرد اضطرابات سوسيوسياسية عابرة، بل كان إعلاناً عن التدهور النهائي لنموذج الدولة السلطوية العربية التي استنفدت مبررات وجودها الوظيفي والأخلاقي. وفي قراءته لمآلات هذا الحراك، يفكّك هيرست بنية محور الثورة المضادة عبر مستويين هيكليين، يَعدّهما مفسِّرَين لكبح جماح التغيير:

- **التوظيف الذرائعي للإسلام السياسي**: حيث تمّ تصوير الحركات الإسلامية التي وصلت إلى السلطة عبر صناديق الاقتراع كتهديد وجودي عابر للحدود، مما وفّر الغطاء الأيديولوجي والسياسي للتدخل العسكري وإجهاض التجربة الديموقراطية الوليدة.[57]
- **التدخّل الإقليمي والدولي العضوي**: يركز هيرست على الدور المحوري لدول إقليمية، مثل الإمارات والسعودية ومصر، في تمويل وتوجيه غرف عمليات الثورات المضادة، بالتنسيق مع قوى دولية، بهدف تثبيت نموذج "الحاكم المطلق" كضمانة وحيدة للاستقرار الإقليمي المتوهّم.[58]

◁2. إشكالية التمثيل: حدود نقد المثقّف الغربي:

تُثير كتابات هيرست، على الرغم من إنصافها، إشكالية التمثيل الكلاسيكية في دراسات ما بعد الاستعمار. فبصفته مثقفاً غربياً منشقاً، يواجه هيرست تساؤلاً حول حدود قدرته على تمثيل آلام وطموحات الشعوب العربية.

جدول رقم 3: دور هيرست (الوسيط المنشق)

البُعد الإشكالي	التساؤل النقدي	دور هيرست (الوسيط المنشق)
المركزية الذاتية	هل يمكن لـ"الآخر" الغربي أن يتحدث عن "الذات" العربية دون الوقوع في فخ الاستشراق المقلوب؟	لا يدّعي هيرست التحدث باسم العرب، بل يركز على تفكيك الخطاب الغربي الذي يبرر قمعهم، مما يفتح مساحة لـ"صوت صاحب القضية".[59]
الإنصاف المعرفي	هل يكفي الإنصاف في التحليل ليتجاوز المثقف الغربي موقعه الهيكلي كجزء من المنظومة الإمبريالية؟	يُمثّل هيرست قطيعة إبستمولوجية مع السردية الإمبريالية، ويستخدم موقعه كـ"مطّلع من الداخل" لتعرية زيف السياسات الغربية.[60]
الفاعليّة السياسية	هل يركز هيرست على الضحية أم على الفاعل في العالم العربي؟	يركز هيرست على الفاعلية السياسية للشعوب العربية، ويُرجع فشل الثورات إلى القوى الكابحة، وليس إلى الجمود الثقافي، مما ينسجم مع نقد إدوارد سعيد للاستشراق.[61]

يُمكن القول إنّ هيرست يتبنّى موقفاً ينسجم مع الالتزام الأخلاقي في الكتابة، حيث يرى أنّ دوره لا يكمن في تمثيل العرب، بل في تفكيك آليات القمع التي تحول دون تمثيلهم لأنفسهم. إنّ هذا الموقف يجعله جسراً معرفياً بين النقد الذاتي الغربي والتحليل الجذري للواقع العربي، وهو بذلك يعيد تعريف وظيفة المثقف الغربي في سياق القضايا الكولونيالية؛ فهو لا يكتفي برصد الأحداث، بل يعمل على نزع الشرعية المعرفية عن السرديات الإمبريالية التي تبرر الاستبداد بذريعة الاستقرار. إنّ هذا الموقف يُتوّج بما أسميناه "الحالة الهيرستية"، التي تتجاوز مجرد التعاطف الإنساني لتصل إلى مستوى الانحياز الإبستمولوجي للعدالة؛ حيث يصبح النص عند هيرست أداة لمقاومة التجهيل المنظم وصناعة الوهم السياسي، مما يجعله صوتاً نقدياً فريداً يرفض الحياد الزائف في صراعٍ تكون فيه موازين القوى مختلة جذرياً.

نتائج الدراسة: أدوات هيرست في كسر طوق الإجماع:

خلصت الدراسة إلى أنّ هيرست استطاع تفكيك صناعة الموافقة عبر استراتيجيات معرفية ومنهجية تمثّلت في الآتي:

- **تحطيم آنية الحدث:** نجح هيرست في نقل النقاش من لحظة الانفجار العارضة إلى سياق الصيرورة التاريخية. وبينما تعمل السردية الصهيونية على محو الزمن لتبرير رد الفعل، أعاد هيرست الاعتبار للتراكم التاريخي والانتهاكات البنيوية عبر العقود.
- **أنسنة الضحية عبر بوابة العدالة:** قدّمت أطروحات هيرست الإنسان العربي كصاحب حقّ قانوني وتاريخي مصادر، لا كضحية تستجدي الشفقة. هذا التحوّل من اللغة الإنسانية السيالة إلى اللغة الحقوقية الصلبة أحدث شرخاً عميقاً في بنية البروباجندا الغربية.
- **تفكيك ميتافيزيقا الأمن:** كشف البحث كيف نزع هيرست القدسية عن مفهوم "أمن إسرائيل"، مبيناً أنه أداة وظيفية لتبرير التوسّع والقمع؛ أي أمن المستعمر على حساب وجود المُستعمر، مما عرى آليات الفيتو الأمريكي وحماية الاستثناء.

توصيات الدراسة: نحو أفق السردية العربية المستقلة:

تطرح الدراسة سؤالاً جوهرياً: لماذا نحتاج دائماً إلى "مترجم" غربي ليصدق العالم قضيتنا؟ وتأسيساً على ذلك، تضع الدراسة التوصيات التالية:

- **التحرّر من عقدة المترجم:** الانتقال من مرحلة توفير البيانات للباحث الغربي إلى مرحلة إنتاج النظرية. يجب أن يمتلك العرب القدرة على اجتراح مفاهيمهم الخاصة (مثل تأصيل الأبارتهايد كإطار قانوني) دون انتظار المصادقة الغربية عليها.
- **بناءالكتلة المعرفية في المحافل الدولية:** تطوير نخب عربية قادرة على مخاطبة المركز الغربي بأدواته (القانون الدولي، والفلسفة الأخلاقية) مع الحفاظ على المرجعية الأصيلة، لتحويل "الحالة الهيرستية" من تجربة فردية إلى "مؤسسة معرفية" عربية عابرة للحدود.

- **إعادة تسييس التاريخ وصناعة القرار:** تطوير مناهج بحثية تفكّك بنى القوة العالمية مثل آليات اللوبي آيباك لفهم كيفية التأثير في صنع القرار الغربي أو تعطيله، بدلاً من الاكتفاء بسردية المظلومية.
- **عالمية الخطاب مع الحفاظ على الخصوصية:** إنتاج خطاب حقوقي عالمي يرفض اختزال القضية الفلسطينية في "نزاع حدودي"، ويصر على تقديمها كقضية تحرر وطني كونية.

خاتمة:

في الختام، يتبيّن أنّ ديفيد هيرست لم يفتح مجرد فجوة في الجدار المعرفي الغربي، بل قدم دليلاً إرشادياً لكيفية تقويضه. إنّ مهمة الفكر العربي المعاصر اليوم لا تقف عند حدود المرور عبر هذه الفجوة، بل تمتد نحو هدم جدران "الاستثناء" بالكامل. لقد أثبتت هذه الدراسة أنّ السيادة الحقيقية تبدأ بالسيادة على السردية؛ فمن يمتلك لغة التاريخ وأدوات تفسيره، يمتلك وحده القدرة على صياغة المستقبل والتحرّر من تبعات الاستلاب الإمبريالي.

الهوامش

[1] د. إسلام عبد الله أبو خيط: حاصل على درجة دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة الحسن الثاني بالمغرب. عَمِلَ مُدرّساً في جامعة سلمان بن عبد العزيز (السعودية)، وجامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا (الأردن) سابقاً. ويشغل حالياً منصب مدير التطوير المؤسّسي والتدريب في وزارة الإدارة المحلية في الأردن.

[2] بدأ كاتب هذه السطور مشروعاً لتفكيك السرديات الغربية والامريكية والصهيونية، بدأت بدراسته المعنونة "تفكيك السردية الصهيونية: دراسة مستقبلية في تحولات الشرعية الدولية بعد طوفان الأقصى". وتأتي دراسة "ديفيد هيرست وتفكيك السردية الغربية: نقد الهيمنة الإعلامية الأمريكية – الإسرائيلية وحدود الإنصاف المعرفي للعرب" ضمن هذا المشروع الذي يشمل أيضاً دراسة "هندسة الإرهاب تفكيك سردية الارهاب: بين إرهاب القرصان وإرهاب الإمبراطور، دراسة نقدية في الأسس الفلسفية للعنف والهيمنة في العالم الحديث". ويشمل كذلك "أكذوبة الديمقراطية وحقوق الإنسان: تفكيك السردية الغربية بخصوص الديمقراطية وحقوق الإنسان".

[3] Edward S. Herman and Noam Chomsky, *Manufacturing Consent: The Political Economy of the Mass Media* (New York: Pantheon Books, 1988), pp. 1–2.

[4] Ibid, p. 26.

[5] وفاة الصحفي ديفيد هيرست.. خمسة عقود من الكتابة النقدية، موقع الجزيرة.نت، 2025/9/24، في:
https://aja.ws/82onc3

[6] David Hirst, *The Gun and the Olive Branch: The Roots of Violence in the Middle East*, 3rd ed. (London: Nation Books, 2003).

في المقدمة، يسرد هيرست بالتفصيل كيف واجهت تقاريره في صحيفة "الجارديان" حملات منظّمة من الضغط الديبلوماسي والمؤسّسي تهدف لشيطنة أطروحاته.

[7] Louis Althusser, "Ideology and Ideological State Apparatuses (Notes towards an Investigation)," in *Lenin and Philosophy and Other Essays* (New York & London: Monthly Review Press, 1971), p. 127.

[8] Edward W. Said, *Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World*, rev. ed. (New York: Vintage Books, 1997), p. 21.

[9] Ibid, pp. 28–29.

[10] يُنظر في تفصيل هذا الارتكاز التاريخي: يعود هيرست إلى سنة 1881 تحديداً كونه يمثل البداية العملية للمسألة الصهيونية كحركة سياسية استيطانية منظمة، وذلك عبر أربعة مرتكزات أساسية:

- **التحول الجيوسياسي**: بدء موجات الاضطهاد في روسيا القيصرية عقب اغتيال القيصر ألكسندر الثاني، مما دفع بالهجرة اليهودية الجماعية.
- **الممارسة الاستيطانية**: انطلاق "الهجرة الأولى" (1881–1903) كمشروع تنظيمي مدعوم أوروبياً وليس مجرد حنين ديني فردي.
- **التأصيل السياسي**: الانتقال من الفكرة اللاهوتية إلى الفعل السياسي وشراء الأراضي قبل مؤتمر بازل Basel سنة 1897.
- **الاحتكاك البنيوي**: بداية إقصاء الفلاحين الفلسطينيين وتشكل علاقة (مستوطن/ صاحب أرض).

ومن خلال هذا التأصيل، يفكك هيرست "لعبة التوازن الزائفة"؛ ليؤكد أنّ الصراع لم يبدأ كفعل عربي ضد دولة قائمة أو كرد فعل على سنتَي 1917 أو 1948، بل بدأ مع مشروع استيطاني وافد يحمل منطق الإحلال منذ سنة 1881، مما يعيد تعريف القضية بوصفها عملية استعمار استيطاني طويلة الأمد، لا مجرد سلسلة من "أعمال العنف" المتبادلة.

[11] David Hirst, *The Gun and the Olive Branch*, p. 22.

[12] Pierre Bourdieu, *On Television*, Priscilla Parkhurst Ferguson (trans.) (New York: New Press, 1998), pp. 39–40.

[13] Noam Chomsky, *The Common Good* (Berkeley: Odonian Press, 1998), p. 43.

[14] David Hirst, *The Gun and the Olive Branch*, pp. 12–15

[15] Julien Benda, *The Treason of the Intellectuals*, trans. Richard Aldington (New York: Transaction Publishers, 2007), pp. 30–35.

[16] David Hirst, *The Gun and the Olive Branch*, pp. 24–26

[17] Max Weber, *Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology*, Guenther Roth and Claus Wittich (ed.) (Berkeley: University of California Press, 1978), pp. 241–245.

[18] Victoria Brittain, David Hirst obituary, *The Guardian* newspaper, 23/9/2025, https://www.theguardian.com/world/2025/sep/23/david-hirst-obituary

[19] Ibid.

[20] Edward W. Said, *Representations of the Intellectual: The 1993 Reith Lectures* (New York: Pantheon Books, 1994), p. 15.

[21] Patrick Wolfe, "Settler Colonialism and the Elimination of the Native," *Journal of Genocide Research*, vol. 8, no. 4, 2006, pp. 387–409.

[22] Ibid, p. 390.

[23] Ibid, pp. 387–388.

[24] David Hirst, *The Gun and the Olive Branch*, pp. 15–20.

[25] Ibid, pp. 15–20.

[26] See E. P. Thompson, *Customs in Common: Studies in Traditional Popular Culture* (New York: New Press, 1993).

[27] David Hirst, *The Gun and the Olive Branch*, p. 250

[28] Ibid, Foreword to the 3rd ed., p. xxi.

[29] Ibid, p. 350; and see Ron Pundak, "From Oslo to the Road Map," *Journal of Palestine Studies*, vol. 33, no. 3, 2004, pp. 20–35.

[30] David Hirst, "Is Israel going the way of the Crusaders?," *Middle East Eye*, 3/6/2024.

[31] ديفيد هيرست: هل تسير إسرائيل على خطى الصليبيين؟، الجزيرة.نت، 2025/6/5، في: https://aja.ws/emt883

[32] المرجع نفسه.

[33] كاتب بريطاني مخضرم: هل أصيبت إسرائيل بالجنون؟.. الإبادة في غزة بداية النهاية، موقع موطني 48، 2024/11/6، في: https://www.mawteni48.com/archives/282819

[34] المرجع نفسه.

[35] كاتب بريطاني مخضرم: هل أصيبت إسرائيل بالجنون؟.. الإبادة في غزة بداية النهاية، موقع موطني 48، 2024/11/6.

[36] لا تُطرح "الحالة الهيرستية" بوصفها مفهوماً كلاسيكياً جامداً، بل كـ"برادايم نقدي مستحدث" يهدف إلى وصف نمط معرفي وسياسي وإعلامي متكامل. استلهم هذا المصطلح من التجربة المهنية والفكرية للصحفي البريطاني ديفيد هيرست، الذي تميزت مقارباته للصراع الفلسطيني – الإسرائيلي بالقدرة على اختراق حجب البروباجندا الغربية. وتُعرّف "الحالة الهيرستية": بأنها نمط إدراكي – تحليلي يرتكز على تفكيك السرديات الإمبريالية، وكشف الانحياز الأخلاقي الكامن في الخطاب الإعلامي الغربي، وإعادة الاعتبار للعدالة التاريخية عبر منهجية تفكيك الضبط الأيديولوجي. وتتشكّل "الحالة الهيرستية" كوعي نقدي يناهض السرديات الرسمية المهيمنة. وتُمثِّل "الحالة الهيرستية" نقطة التقاء لمجموعة من المدارس النقدية، حيث يمكن توظيفها في دراسات الإعلام والنقد ما بعد الكولونيالي لتحليل كيفية إعادة إنتاج الهيمنة الرمزية. كما تعدّ نموذجاً في الإبستمولوجيا الصحفية النقدية لدراسة العلاقة بين المعرفة والسلطة. وهي في جوهرها تُمثّل حالة وعي معرفية تتقاطع مع أطروحات إدوارد سعيد حول "الاستشراق"، ونعوم تشومسكي في "صناعة الموافقة"، وميشيل فوكو Michel Foucault في تشريحه لـ"نظام الخطاب".

[37] David Hirst, *The Gun and the Olive Branch*, pp. 245–250.

[38] Carl Schmitt, *Political Theology: Four Chapters on the Concept of Sovereignty*, George Schwab (trans.) (Chicago: University of Chicago Press, 2005), pp. 5–15.

[39] Noura Erakat, *Justice for Some: Law and the Question of Palestine* (Stanford: Stanford University Press, 2019), pp. 141–150.

[40] David Hirst, *The Gun and the Olive Branch*, pp. 250–258.

[41] Stephen M. Walt, "The End of Hubris and the New Age of American Restraint," *Foreign Affairs*, vol. 98, no. 3, 2019, pp. 26–35.

[42] يفهم منظور ألتوسير الأيديولوجيا بوصفها نظاماً مادّياً يعيد إنتاج علاقات الهيمنة من خلال أجهزة الدولة الأيديولوجية (الإعلام، والتعليم، والدِّين، والثقافة)، حيث يتم "استدعاء" الأفراد كذوات مطيعة للنظام، لا عبر الإكراه بل من خلال الامتثال المُقنع.

جوهر فكرته:

- الأيديولوجيا ليست وهماً بل ممارسة يومية.
- الهيمنة تتحقّق عبر القبول لا القسر.

ويُعاد إنتاج الدولة معرفيّاً قبل أن تُفرض سياسياً.

[43] Louis Althusser, "Ideology and Ideological State Apparatuses," pp. 127–145.

[44] John J. Mearsheimer and Stephen M. Walt, *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2007), pp. 150–165.

[45] David Hirst, *The Gun and the Olive Branch*, pp. 390–405.

[46] Stephen Sizer, *Christian Zionism: Road-map to Armageddon?* (Leicester: Inter-Varsity Press, 2004), pp. 102–115.

[47] David Hirst, *Beware of Small States: Lebanon, Battleground of the Middle East* (New York: Nation Books, 2010), pp. 310–318.

[48] الهيمنة عند أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci تعني شكلاً من السيطرة يُمارَس عبر القبول والرضا لا عبر القسر، حيث تنجح الطبقة المهيمنة في جعل رؤيتها للعالم تبدو طبيعية وبديهية داخل وعي المجتمع. انظر:

Antonio Gramsci, *Selections from the Prison Notebooks*, Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith (eds. and trans.) (New York: International Publishers, 1971), pp. 12–13, 57–58.

David Hirst, *Beware of Small States*, pp. 315–320. [49]

David Hirst, *The Gun and the Olive Branch*, pp. 415–442. [50]

Edward Said, *Culture and Imperialism* (New York: Knopf, 1993), pp. 310–320. [51]

David Hirst, *Beware of Small States*, pp. 315–322؛ وانظر أيضاً: "قلب أدوار الوكالة" في: [52]

John J. Mearsheimer and Stephen M. Walt, *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy*, pp. 42–78.

David Hirst, *The Gun and the Olive Branch*, pp. 582–588. [53]

Ibid, pp. 585–590. [54]

John J. Mearsheimer and Stephen M. Walt, *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy*, pp. 104–110. [55]

David Hirst, *Beware of Small States*, pp. 410–415. [56]

Ibid, pp. 305–312. [57]

Ibid, p. 315. [58]

David Hirst, *The Gun and the Olive Branch*. [59]

Ibid. [60]

Edward Said, *Orientalism* (New York: Vintage Books, 1979), pp. 20–25. [61]